سيتبين لنا فيما بعد أن للإديولوجيا باعتبارها تصوراً نفعياً، وكذا لرؤية العالم باعتبارها بحثاً معرفياً دوراً كبيراً في مجال الابداع الروائي، وهو ما سنوضحه في حينه.

الإديولوجيا كمعرفة:

الواقع أن ما تحدثنا عنه بصدد «كارل مانهايم» يسلمنا إلى الحديث عن علاقة الإديولوجيا بالعلم (المعرفة الموضوعية) ولعل القارىء أخذ يشعر أن **الحديث عن الإديولوجيا بمختلف مستوياتها إنما هو رحلة تنطلق من التصورات الذاتية التي يتغلب فيها الوهم، إلى التصورات التي يتغلب فيها التزييف الذاتي، إلى التصورات التي يبدأ فيها الموضوع بالانتصار على أوهام الذات**، وهذا يعني أن رحلتنا مع الإديولوجيا هي رحلة من الإديولوجيا كتصور يغلب فيه الوهم إلى الإديولوجيا كعلم موضوعي. وهل يمكن اعتبار العلم الطبيعي نفسه إديولوجيا؟ هذا ما لا ينفيه البحث في مجال نظرية الإديولوجيا بشكل تام، فقد لاحظ العروي أن علم الاقتصاد ظل يتراوح بين موقع العلم وموقع الإديولوجيا، فلا يبلغ الاقتصاد من وجهة نظر الماركسية ذاتها إلى مستوى العلم إلا إذا وضع نفسه في سياق التطور التاريخي[29].

ويرى جورج طرابيشي استناداً إلى آراء الباحث الماركسي آدم شاف «أن العلم لا يمثل معرفة «موضوعية» خالصة بالدرجة نفسها التي لا تُمَثِّلُ الإديولوجيا معرفة «ذاتية» خالصة، ولم يصل العلم إلى المعرفة المطلقة لأنه عبارة عن تراكم وتدرج وصيرورة، بالإضافة إلى أنه مشروط باللغة الاجتماعية. والذات حاضرة دائماً بشكل من الأشكال حتى في المعرفة العلمية»[30].

ونرى أن الإديولوجيا يمكنها أن تكون أقرب إلى المعرفة الموضوعية (ولا نقول تبلغها) إذا ما تجسدت في إطار رؤية للعالم (وفق التحديد الذي أشرنا إليه سابقاً). ويمكننا أن نحاكي هُنا كلام العروي بخصوص الاقتصاد، عندما يقول:

«إن المفاهيم الاقتصادية نتيجة فرز تاريخي إذا أخذناها كحقائق دائمة نقيس عليها الأنظمة الإنتاجية اللارأسمالية كانت أَدْلُوجِيَّة [يستخدم الأَدْلُوجَا هنا بالمعنى السياسي] وإذا حللناها كنتائج تطور تاريخي قادتنا إلى إدراك واقع التاريخ إلى العلم»[31].

فنسجل ما يلي بخصوص الإديولوجيا:

«إن المفاهيم الإديولوجية لطبقة محددة، إذا أخذناها كحقائق دائمة نقيس عليها

---

(29) **مفهوم الإديولوجيا**، ص 82.

(30) **الماركسية والإديولوجية**، ص 178 - 179.

(31) **مفهوم الإديولوجيا**، ص 83.